

الحقائق الكبرى في القرآن

للدكتور حامد طاهر

سبق أن صنّفت كتابا بعنوان (قوانين القرآن) جمعت فيه — على قدر المطابقة — كل الآيات التي تتضمن القوانين الإلهية التي أنزلها الله تعالى إلى البشر جميعا لكي يستفيدوا منها سواء في مجال المعرفة الإنسانية أو في مجالات تسخير الطبيعة، وكلها الأمرين لو تدبره الناس جيدا لوفر عليهم الكثير من الوقت والجهد والمحاولة والفضل. ومن الملاحظ أن ما أطلق عليه هنا : قوانين — تبعاً لعلم المنهج الحديث — هي نفسها ما يعرف في الثقافة الإسلامية باسم : السنن الإلهية.

ومن أجل تعميم الفائدة، وضعت هذا الكتاب الورقي، المنشور بالقاهرة سنة 2011، على موقعي بشبكة الإنترنت : www.hamedtaher.com (وا لיום سوف أحاول تناول موضوع آخر، قريب من قوانين القرآن، ولكنه مختلف قليلاً. فهو يتمثل في محاولة استخلاص (حقائق القرآن) أو بالأحرى (الحقائق الكبرى) التي كثر ورودها، وتم التأكيد عليها بأساليب وصيغ متنوعة في القرآن الكريم.

وأولى هذه الحقائق الكبرى : أن الله هو خالق السماوات والأرض وما بينهما، وهو المالك الحقيقي لها جميعا . وإذا كان هو الذى خلق هذا الكون ، أى أوجده من العدم ، فهو العالم بكل ما فيه (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)!

وثانية هذه الحقائق : أن الله هو الواحد الأحد ، فلا إله غيره ، ولما كفى له . إذ لو كان فى السماء والأرض آلهة غيره لفسد نظامهما ، لكنهما لم يفسدا ، وهما يسيران — كما هو مشاهد للجميع — بنظام دقيق مطرد ، يدل على أنهما محفوظان بعناية الله الذى خلقهما .

وثالثة الحقائق : تترتب بالضرورة على ما سبق ، وهى أن الله وحده ولما أحد سواه هو الذى يستحق العبادة من الإنسان . لذلك فإن أشد ما يبغضه الله هو أن ينكر هذا الإنسان وجود الله فيلحد ، أو يعبد غيره أو يجعل له شركاء فيقع فى الشرك ، بينما لا تتوقف الملائكة جميعا عن عبادته ، ويسبح له تعالى كل ما فى السماوات والأرض بدون استثناء (وما من شئ إلا يسبح بحمده) .

ورابعة هذه الحقائق الكبرى : أن الله الذي بدأ خلق الكون ويدبره قادر أيضا على إضائه وإعادته . وتؤكد الآيات أن إعادة الخلق مرة أخرى أسهل وأهون عند الله من المبدء به (كما بدأنا أول خلق نعيده) ولما شك أن هذه الحقيقة هي التي تنبئ عليها عقيدة البعث ، الذي يحاسب فيه كل إنسان على ما اعتقد من إيمان أو كفر ، وما فعله من خير أو شر ، فإما إلى جنة وإما إلى جحيم .

وخامسة هذه الحقائق : أن الله تعالى هو أعدل العادلين ، يعطي لكل ذي حق حقه ، ولما يظلم أحدا مثقال ذرة . وهو لا يعذب فردا ولما أمة إلا بعد أن يبعث فيها رسولا ، يبلغها رسالته ، ويوضح لها طريقى الضلال والهداية ، ويثبت بالحجج والمعجزات صدق دعوته (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

وسادسة الحقائق : أن الله قد كرم بني آدم ، واصطفاهم على كثير من خلقه ، وسخر لهم ما فى السماوات والأرض ، ومنحهم حرية الاختيار بين طريقى الإيمان والكفر ، والإخلاص والنفاق ، لذلك فإن كل إنسان يظل مسؤولا عن اختياره (لا إكراه فى الدين) و (كل نفس بما كسبت رهينة) .

وسابعة هذه الحقائق: أن الله خلق الإنسان وهو يعلم مواطن ضعفه . وقد قال عن أبي البشر (وعصى آدم ربه فغوى) وأيضا (ولم نجد له عزما) لكنه حين أدرك ذنبه تاب إلى ربه فعفا عنه وتاب عليه . وهكذا فتح الله للمذنب باب التوبة، وأضاء له مصباح الأمل ، فإذا ارتكب ذنبا ثم ندم عليه وسعى إلى الله تعالى طالبا غفرانه وجد الله غفارا رحيمًا .

وثامنة الحقائق: أن الله هو وحده الرازق بل الرزاق لجميع المخلوقات ، ومنها الإنسان . وفى حين هيّأ كل حيّ إلى الأخذ بالأسباب والمسعى من أجل الحصول على رزقه — يقرر أن الله تعالى هو الذى يقدر هذا الرزق من حيث السعة والضيق . ولما شك أن إدراك ذلك هو الذى يبعد الإنسان عن الحزن ، والتذمر ، وحسد غيره ممن رزقه .

وتاسعة الحقائق القرآنية : أن الله تعالى قد قرن فى كثير من الآيات : الإيمان الذى محله القلب بالأعمال الصالحة التى تظهر على الجوارح (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، فلا ضرر ولا ضرار ، ولما أذى أو اعتداء على الآخرين بأى شكل من الأشكال ، سواء كان ماديا أو معنويا . وبهذا يضع القرآن الكريم الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح : أى بين عبادة الله ومعاملة الناس .

وبالنسبة إلى عاشرة الحقائق : فهي تحرير عقل الإنسان من أهم المعوقات التي تمنعه من الوصول إلى الحق أو الحقيقة . فلا تقليد أعمى للآباء وخاصة عندما يكونون على ضلال (إننا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ، (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ، وكذلك لا اتباع للأهواء الخاصة (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) ، وإنما دعوة مباشرة وصريحة لاستخدام العقل بالمتدبر في ملكوت السماوات والأرض من أجل تعمير هذه الأخيرة ، حتى يستحق الإنسان المؤمن بالفعل خلافة الله تعالى في الأرض .

وأخيرا ، فإن هذه الحقائق العشر الكبرى ليست وحدها هي ما تضمنه القرآن الكريم ، وإنما هي من أبرز ما ورد فيه ، سواء بكثرة عدد آياتها ، أو بالتأكيد عليها . والواقع أنني قد فكرت طويلا فيها قبل أن أجمعها وأكتب عنها راجيا أن تكون مقدمة أساسية لعلم عقيدة معاصر ، وليس كما يدعو البعض إلى علم كلام جديد . ويظل الباب مفتوحا لمن (يتدبر) القرآن الكريم ليستخرج من آياته ما يضيف إلى تلك الحقائق ، بدلا من محاولة استعادة الجدل الكلامي الذي ثار بين المسلمين في عصور سابقة ، وأحدث بينهم فرقة وصراعا ، ولم يعد من المفروض علينا أن نعيد بعثه مرة أخرى في عصرنا الحاضر .

وأختم بقوله تعالى (ح يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) . صدق الله العظيم .
